

## لولو

....

ما من شكّ بأن لولو، التي نالت سنوات السجن الطويلة من صحتها وسعادتها بعد أن حرمت حقّ الدفاع عن نفسها وفشلت في مقاومة الشهود الذين خضعوا تحت ضغوط أصحاب المصلحة في تليفيق التهمة لها وتبرئة المجرم الحقيقي، تُدرك بأنّ ضعف الناس تغلّب عليهم في ذلك اليوم الصّعب. ولكنّها لا يمكنها أن تنسى خمسة عشر عاماً قضتها بعيداً عن الضّوء والأهل والحبّ. وفي حين يشعر البعض، وخاصة النساء بالخلج فيعترفون بذنبهم ويبدون أسفهم واعتذارهم لا يجد آخرون حاجة لكلّ هذا، خاصة وأن المعنية فتاة (سويّعاتيّة):

رَجُلٌ: إي ما بدأ هالأهميّة. انْحَبَسْتُ وَخَلَصْتُ  
رَجُلٌ آخَرٌ: وَإِذَا شَهَدْنَا عَلَيَّا. هَائِدِي وَحِدَةَ كُلِّ سَاعَةٍ عَقَلَاتَا شِكِلْ  
رَعْدُ الْمَجْنُونِ: حَدا بِبِقَلِّكَ سَوِيّعاتيّة!

لم يرقّ الحديث للبويجي وهو أكثر النَّاسِ عقلانية وإنسانية فيحتجُ مُذَكِّراً الرِّجال (وُظَلِّمَتْوْها خَمْسَتَعَشْرَ سِنَةٍ) فيجيبه الرَجُلُ الأوَّلُ بفظاظة (واعتذرنا لا وخلص.. هيّي حرّة تنسى أو ما تنسى)

البويجي: كَلِّكُنْ شَهِدْتُو زورا!.. حَطَّيْتُو الجريمة بيضهرا تَتَخَلَّصُو حالِكُنْ من الطَّبَّيعي أن يحرق الرِّجال وبعض النسوة من جرجي البويجي الذي يعلم ويصرّح بأن من شهد على أن لولو قتلت يونس قد شهد زوراً لذا يطالبه الجميع بالصّمت (اسكُت!) ويحاول أحدهم تفادي الصّدام (وإنت ليش محتدّ؟ يمكن هيّي نسييت) فتتأثر لولو بكلام الناس واستمرار سلوكية التجريح والمواقف اللاإنسانية تجاهها فتغني:

لولو: إنسى! كيف؟  
والخمسَ عشرَ سِنَةٍ؟  
كِنْتُ بَهالذَّني وَما كِنْتُ بَهالذَّني  
وَتَصَيِّفُ وَتَشَتِّي بِدوني الذَّني  
إنسى! إذا بِقَدْرُ إنسى!

....

لولو: شوفوا! إننّو اتهمّوني بجريمة قتل، وانْحَبَسْتُ خَمْسَتَعَشْرَ سِنَةٍ وَطَلِّعْتُ بِالْأخْرُ بَرِيَّةً. فَإِذْنِ، إِي عِنْدَكُنْ جَرِيمة دافعة حقّاً سَلَفِ. اصْطَفُفُو.. بَدِّي إِقْتُلْ واحداً مِنْكُنْ

طغى الخوف على المساومة والادعاء بالأسف وصمت الجميع وهم يتفرّقون ثم عاد البعض إلى التجمّع والتهاؤس في محاولة لإيجاد حلّ، لأنهم يعلمون أنّ الخارجة من السجن (سويّعاتيّة)

الشخصية ومُتقلِّبة الطَّبَّاع وربما نفَّذت ما توعدَّت به !! فمن هو المرشَّح يائثرى ليكون ضحية جريمة الاتهام؟

....

ينتهي المَشْهَد فننتقل مع تاليه إلى حارة لولو التي فتحت شبابيك بيتها وباب الدَّار وقامت بترتيب الأشياء ونفض الغبار عن مقتنياتها التي اشتاقت للمسها ومداعتها في غيابها الطويل وراحت في ذكرياتها إلى الماضي اللذيذ وصوره وناسه وزوايا الشوارع العتيقة، شواهد الأيام المتراكضة عبر ما تحتضنه من أوراق الشجر الصفراء المتهادية خريفاً تلَوَّ خريف تكبر معها البيوت وأحجار الطرقات ونكُبر ونبعد عن الطفولة وحلاوة الطفولة وبراءة العيون ودفء القلوب وتهرم الأشياء وربما تنتهي إلا الوطن الصنديد يتجدد بالزمن كأنه حليفه فيبقى طفلاً بريء العينين دافئ القلب عزيزاً غالياً.

وواحدة من أجمل الأغاني التصويرية على لحن فائق النُعمَة من مقام (كرد دوگاه) وأوركسترا غربية الإيقاع بصوت فيروز الدافئ السَّاحر

لولو:  
في قَهْوَة عَ المَفْرَقِ      في مَوْقِدَة وفي نار  
نَبَقِي أَنَا وَحَبِيبِي      نِفْرَشُهَا بِالْأَسْرَارِ  
جِيَّتْ لَقِيَّتْ فِيهَا      عِشَّاقِ اتْنَيْنِ زَغَارِ  
قَعَدُو عَلَى مَقَاعِدُنَا      سَرَقُوا مِنَّا الْمِشْوَارِ  
يَا وَرَقِ الْأَصْفَرِ      عَم نِكْبَرُ عَم نِكْبَرُ  
الطَّرَقَاتِ الْبِيُوتِ      عَم تِكْبَرُ عَم تِكْبَرُ  
تَخْلَصِ الدَّنْيَا      يَا وَطَنِي يَا وَطَنِي  
وَمَا فِي غَيْرِكَ يَا وَطَنِي

....

لقد أرادت لولو التي تحتفل بخروجها سالمة من السجن وبزيارة جدِّها المُسنِّ أن تُشْرِكَ الجميع باحتفالها في محاولة معهم لطِيِّ صفحة الماضي السَّوداء ومصافحة الأيام القادمة بأيادٍ بيضاء ووجوه مشرقة وقلوب تعتمد المحبة عنواناً للحياة، وهي إذ تظاهرت بتعاونها مع القبضات وبنياتها الانتقام من أحدهم، وهم سبب ظلِّها، لم تكن تقصد من وراء ذلك سوى هَزَّ رؤوسهم وإيقاظ حُبِّ الخير في نفوسهم بدل الأنانية والحقد والكراهية التي طغت عليهم، وفضح الفساد والفاستين سعيًا لتنقية المجتمع منهم.

تبدأ حفلة العشاء تحت ضوء القمر برقصة شرقية فردية على لحن طرب تقدّمه الأوركسترا بقيادة أكورديون الياس الرحباني تليها أغنية مرح تبدأ بمدخل هاديء يرافق فيروز فيه غيتار كلاسيكي، ثم تتحول إلى أغنية حبوية ورقصة جماعية لذيذة بلحن غربي الإيقاع، والأغنية التي كتب كلماتها ولحنها الموسيقار الياس الرحباني تُحدِّثنا لولو فيها عن ذكرياتها في ضيعة الطفولة التي سيَّجت الورود طرقاتها وملأت ساحاتها أغاني الفرح ورائحة الحب

لولو:  
كَانَ عَتًّا طَاحُونَ      عَ نَبْعِ الْمَيِّ  
قِدَامُ سَاحَاتِ      مَزْرُوعَةٍ فِي  
وَجِدِّي كَانَ      يَطْحَنُ لِحَيِّ قَمَحٍ وَسَهْرِيًّا